

التشبيه والاستعارة في اللغة والعمارة

المهندس الدكتور
عماد يونس لافي
أستاذ مشارك
كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي

قد يرد الذهن أول ما يرد عند قراءة عنوان هذا البحث سؤال نصّه: متى كان للغة علاقة بالعمارة، ومتى كان للعمارة علاقة باللغة حتى نروح نبحت في جزئية من جزئيات علم البلاغة الواسع لنجد آثارها في عالم العمارة؟

أليست اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم كما يقول ابن جنّي، فهي والحالة هذه صوت ، والصوت موجات تنتقل في الأوساط المختلفة، تدرك سمعاً، وهي من بعد ذلك وسيلة للتعبير والتواصل بين أفراد المجتمع.

أما العمارة فهي مادة ملموسة محسوسة تدرك باللمس والبصر، وكان أول غاياتها السكن والمأوى للتغلب على ظروف البيئة القاسية، فاللغة والعمارة على هذا الوصف لا تكادان تلتقيان في أي جانب.ولكن هذا التباين الذي قد يبدو صارخاً عند الانطباع الأول، يكاد يتلاشى عند الوقوف على مفاهيم أخرى في هذين الحقلين.

فاللغة نظام والعمارة نظام، وفي كل منهما عناصر، يرتبط بعضها ببعض بقوانين منطقية ومحددات جمالية، واللغة تركيب والعمارة تركيب ومفهوم الإسناد واضح فيهما، وفي اللغة جمال يظهر في التراكيب البلاغية والمفردات الفصيحة، وفي العمارة جمال يظهر في الشكل واللون والملبس وتوزيع الكتلة والفراغ، واللغة والعمارة - قبل كل هذا وذاك- نشاطان اجتماعيان اتصلتا بأفكار الناس ومشاعرهم.

وإذا ما توغلنا إلى مسافة أكبر في المساحة المعرفية التي تنتزع عليها اللغة والعمارة، وجدنا من الوشائج ما يجعل المنطق والذوق على حد سواء يعترفان بالتوافق الكبير بينهما، فهذا (فتروفبيوس) وهو معماري روماني، يُعدّ أول منظر في العمارة عبر التاريخ، يذهب إلى أن العمارة يجب أن تؤدي ثلاثة متطلبات رئيسة؛ هي المتانة (Firmitas)، والمواعمة (Utilitas)، والبهجة (Venustas).⁽¹⁾ ولا يخفى على أي دارس للغة أن هذه المتطلبات الثلاثة لا بد من توافرها في أي نص لغوي ليؤدي الغرض المنشود، فالمتانة التي ترتبط في العمارة بالمنشأ واستقراره، وهي لا تتحقق إلا بالإسناد المنطقي المتين بين أجزاء المنشأ حاضرة في التركيب النحوي للجملة، فلا يمكن للكلام أن يكون مفيداً إن لم يكن مترابطاً على وفق مفاهيم النحو التي تستند إلى مفهوم الإسناد، ولكن الإسناد في العمارة على الحقيقة، أما الإسناد في اللغة فعلى سبيل المجاز. ولكن هذا الإسناد غير كافٍ لتحقيق الغاية لا في اللغة ولا في العمارة، ففي العمارة يمكن أن أبنى أي أساس وأقيم عليه ما أشاء من الأعمدة والجدران، ولكن من غير فائدة تذكر، ولا غاية ترتجى، وهذا يمكن تلمسه بوضوح في اللغة، إذ يمكننا ببسر أن نكوّن جملاً متعددة معربة ولكن لا معنى لها، فالإسناد غير كافٍ لتحقيق الغاية، فلا بد للمنشأ أن يكون موائماً للغاية التي أنشئ من أجلها، وهي حاضرة في ذهن المعمار قبل عملية الإنشاء، بل قبل عملية التصميم، يقابل ذلك في اللغة ما يتناوله علم المعاني وهو أحد علوم البلاغة، الذي يوجب أن يكون الكلام مطابقاً

⁽¹⁾ ينظر: , Architectural Theory From Vitruvius to the Present" Kruff,Hanno,Walter ,
Zwemma, 1994, P.24

لمقتضى الحال، فالموامة كما سماها فتروفوس التي تعني مطابقة مواصفات العمارة للغاية التي أنشئت من أجلها، تقابل مطابقة الكلام المركب تركيباً نحوياً صحيحاً للغاية التي رُكّب من أجلها. أما (البهجة) في العمارة التي تظهر بصورة جليّة في سلاسة التصميم وابتعاده عن التعقيد غير المسوّغ، وكذلك في الشكل واللون والملمس والتناسب والتناظر والتضاد وما إلى ذلك مما هو معروف عند أهل العمارة، فيقابلها علما البيان والبديع في البلاغة، فعلم البيان يحترز به عن التعقيد المعنوي في الكلام، وعلم البديع تعرف به وجوه تحسين الكلام بعد مراعاته لمقتضى الحال.⁽¹⁾

وأرى من المناسب أن أذكر هنا التفاوت النسبي في أهمية هذه المتطلبات الثلاثة في العمارة، ففي الوقت الذي لا يمكن الاستغناء عن (المتانة) في أي منشأ، إذ يجب أن يحقق المتطلبات الدنيا من التصميم الإنشائي، نجد أن (الموامة) التي تتعلق بالوظيفة التي يمارسها الإنسان في العمارة تعتمد على قدرة المعمار وكفايته، وكذلك (البهجة) أمر نسبي، يعتمد على الذوق الفني والتحسس الجمالي عند المعمار، وهذا التفاوت في الأبنية المختلفة يدركه حتى العامة من الناس فضلا عن ذوي الاختصاص. كل أولئك نتحسس في النصوص اللغوية التي تتفاوت تفاوتاً نسبياً يعتمد على قدرة المتكلم وبراكته في استعمال الأساليب البلاغية التي يتناولها علما البيان والبديع بعد أن يتحقق المتكلم من سلامة الصياغة النحوية للكلام التي تأتي على وفق المقاييس والمحددات الإسنادية التي يتناولها علم النحو.

إن هذه المقابلة بين عناصر اللغة والعمارة التي ذكرناها بصورة مقتضبة أراها تمثل محفراً كبيراً للبحث في التفاصيل الدقيقة في كلا الحقلين لنقف على أوجه التوافق المتعددة بينهما، وما بحثنا هذا الموسوم بـ (التشبيه والاستعارة في اللغة والعمارة) إلا صورة واضحة بيّنة من بين صور متعددة تثبت من خلالها أوجه ذلك التوافق.

التشبيه في اللغة

الشَّبْهُ والشَّبَّه والشَّبِيه: المِثْلُ، وأشبه الشيء الشيءَ: مائِلهُ، ويقال: شَبَّهْتُ هذا بهذا، وأشبهه فلان فلاناً. والشَّبْهُ والشَّبَّه: النحاس يُصَبَّغُ فيصفرُّ، وسمي النحاس به لأنه إذا فعل به أشبهه الذهبَ بلونه، والتشبيه مصدر من شَبَّه.⁽²⁾

هذا المعنى اللغوي للتشبيه يشير إلى وجود طرفين بينهما وجه شبه واحد أو أكثر، يثير حواس المتلقي ليعقد مقارنة بينهما. والتشبيه على هذا الوصف يقتضي عدم تشبيه الشيء بنفسه،

⁽¹⁾ ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، 15، 16.

⁽²⁾ لسان العرب، مادة (شبه)، 13 / 503، 504، 505.

ولا بغيره من كل الجهات، فالشيطان إذا تشابها من جميع لوجوه ولم يقع بينهما تباير البتة، اتحدا
فصار الاثنان واحداً. (1)

أما المعنى البلاغي للتشبيه فلا يخرج عن المعنى العام المذكور آنفاً، ولكنه شاع في
كتب البلاغة أن للتشبيه أربعة أركان هي: المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، ويطلق
على المشبه والمشبه به (طرفي التشبيه)، وهما الركنان الأساسيان في التشبيه، وطرفا التشبيه
إما أن يكونا حسيين، والحسي هو ما يدرك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، أو عقليين، والعقلي
ما لا يدرك بالحس بل بالعقل، أو أن يشبه المعقول بالمحسوس أو المحسوس بالمعقول. (2)

وإذا ما اتخذنا من اللغة والعمارة (طرفي تشبيه)، ورحنا نبحت عن وجه الشبه بينهما، فإن
ذلك سيكون واضحاً جلياً كما بينا في السطور الأولى من هذا البحث، والذي يمكن اختصاره
بتشبيه تركيب المنشأ في العمارة بالتركيب النحوي في اللغة، والوظيفة في العمارة بالوظيفة في
اللغة (مع اختلاف الوظيفتين طبعاً)، وجماليات العمارة بجماليات اللغة. ويمكن أن نشير هنا
إلى أن فكرة الإسناد التي لا يقوم المنشأ بغيرها، نراها واضحة في اللغة في مستواها النحوي، إلا
إن الإسناد في العمارة محسوس، والإسناد في اللغة عقلي أي على سبيل المجاز، وهذا من باب
تشبيه المحسوس بالمعقول. وفي اللغة والعمارة الكثير الكثير مما يمكن الاعتماد عليه في إثبات
أوجه الشبه بينهما. ولكن الأهم من ذلك هو إجابتنا عن السؤال الآتي:

هل هناك تشبيه في العمارة بمعزل عن اللغة، كما هو معلوم في البلاغة التي هي أحد
علوم اللغة؟ وما أن نتذكر أن التشبيه مستدع طرفين؛ مشبه ومشبه به، حتى نصدر حكماً مطلقاً
أن لا تشبيه في العمارة. لماذا؟

لو أخذنا نماذج من التشبيه البلاغي على اختلاف أنواعه لوجدنا أن طرفي التشبيه لا بد
منهما في التشبيه، فقد تحذف أداة التشبيه فيسمى تشبيهاً مؤكداً كقول الشاعر:

بدت قمراً وماست خوط بان وفاحت عنبراً ورننت غزالاً (3)

وقد يحذف وجه الشبه، فيسمى حينئذ (تشبيهاً مجملاً)، نحو قول الشاعر:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب (4)

وقد يحذف معاً، أداة التشبيه ووجه الشبه، فيسمى (تشبيهاً بليغاً)، كقوله تعالى: (وجئت عرضها
السماوات والأرض) (1) ويحصل من هذا التشبيه في هذه الآية الكريمة التشويق إلى الجنة بحسن
الصفة وإفراط السعة. (2)

(1) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، 2/ 168.

(2) ينظر: م.ن، 2/ 168-173.

(3) ينظر: م.ن، 2/ 197.

(4) ينظر: م.ن، 2/ 199.

ومهما عددنا من أنواع التشبيه مما ذكره البلاغيون في مؤلفاتهم فلا يمكن حذف أحد طرفي التشبيه، لأن ذلك سيخرج الكلام إلى (الاستعارة)، وهذا ما سيتناوله إن شاء الله تعالى المبحث الثاني من هذا البحث.

وإذا ما طبقنا مفهوم التشبيه بصورته المعروضة آنفاً على العمارة، فإن أي منشأ إذا ما أشبه شيئاً ما، فلن يكون هذا الشيء منفصلاً عن المنشأ، بل هما متحدان، أي اتحدا فصاراً شيئاً واحداً، وهذا يتنافى مع التعريف الأول للتشبيه، إذ أصبح الاثنان؛ المنشأ (المشبه) والشيء الآخر (المشبه به)، أصبحا واحداً، فالعمارة التي نراها في الشكل ذي الرقم (1)، بنيت على شكل سلّة، ولا يمكن أن نقول إنها تشبه السلّة، لأنها هي بذاتها تمثل العمارة والسلّة، أي اتحدا فصاراً كياناً واحداً، وربما يدفعنا ذلك إلى وصفها بقولنا (العمارة السلّة)، لأنها عمارة استعير لها شكل السلّة.



الشكل (1)

الاستعارة في اللغة والعمارة

(1) آل عمران، 133.

(2) ينظر: البرهان في إعجاز القرآن (بديع القرآن)، 91، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، 2/

يقال: استعار فلان سهماً من كنانته: رفعه وحوّله منها إلى يده⁽¹⁾. قال الزمخشري: وأرى الدهر يستعيرني شبابي، أي يأخذه مني⁽²⁾. وهذا يعني أن الاستعارة لغة لا تخرج عن كونها بمعنى الأخذ. وقيل: ((إن الاستعارة مأخوذة من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئاً، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئاً، إذ لا يعرفه حتى يستعير منه)).⁽³⁾ وأما المعنى الاصطلاحي للاستعارة، فقد ((حدّ الرمانى الاستعارة فقال: هي تعليق العبارة على غير ما وضعت في أصل اللغة على سبيل النقل. وذكر الخفاجي كلام الرمانى وقال: تفسير هذه الجملة قوله عز وجلّ (واشتعل الرأس شيباً)⁽⁴⁾، استعارة لأن الاشتعال للنار ولم يوضع في أصل اللغة للشيب، فلما نقل إليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه؛ لأن الشيب لما كان يأخذ من الرأس شيئاً فشيئاً حتى يحيله إلى غير لونه الأول كان بمنزلة النار التي تسري في الخشب حتى تحيله إلى غير حاله المتقدمة. فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان))⁽⁵⁾، ومنهم من قال: ((هي ادعاء معنى الحقيقة للشيء للمبالغة في التشبيه))⁽⁶⁾، وهذا يعني أن الاستعارة لا تكون حسنة إلا إذا كان بين المستعار له والمستعار منه وجه شبه، أي أن الاستعارة تشبيه بين شيئين طوي ذكر أحدهما، حتى اتحدا فكأنما أصبحا شيئاً واحداً، ولا تكون الاستعارة ((إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له))⁽⁷⁾، الذي يقابل (المشبه) في التشبيه. ففي التشبيه لا بد من ذكر طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) أما في الاستعارة ((فمن الواجب في حكم الفصاحة والبلاغة ألا يظهر المستعار له، وإذا ظهر ذهب ما على الكلام من الحسن والرونق، ألا ترى أننا إذا أوردنا هذا البيت الذي هو:

وأمرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العنّاب بالبرد

وجد عليه من الحسن والرونق ما لا خفاء به، وهو من باب الاستعارة، فإذا أظهرنا المستعار له، صرنا إلى كلام غث، وذلك أن نقول: فأمرت دمعاً كالؤلؤ من عين كالنرجس وسقت خدّاً

(1) لسان العرب، مادة (ع ي ر)، 4/ 620.

(2) أساس البلاغة، مادة (ع و ر)، 316.

(3) المثل السائر، 1/ 347، وينظر: النهاية في غريب الأثر، 3/ 226.

(4) مريم، 4.

(5) خزانة الأدب، 1/ 109. وينظر: دلائل الإعجاز، 92.

(6) م. ن. 1/ 254.

(7) المثل السائر، 1/ 368.

كالورد، وعضت على أنامل مخضوية كالعناوب بأسنان كالبرد، وفرق بين هذين الكلامين للمتأمل
(واسع.)⁽¹⁾

من هذا المفهوم يتبين بصورة جلية ما سبق أن قرّرناه من أن لا وجود للتشبيه في عالم
العمارة، وإنما هناك استعارة لأن العمارة عندما يستعار لها شكلا ما فإن شكلها المؤلف يتوارى
كله أو بعضه خلف شكل المستعار منه، لذا يمكن أن نعيد العبارة المذكورة آنفا قائلين: إن من
البلاغة في العمارة ألا يظهر (شكل) المستعار له، لأن (شكل) المستعار منه هو الذي ينبغي أن
يرجح على شكل المستعار له. وهذا ما يتوافق مع تعريف ابن أبي الإصبع الاستعارة بأنها: ((
نقل اسم الراجح إلى المرجوح لطلب المبالغة في التشبيه وحسن البيان.))⁽²⁾

ومما تجب مراعاته في الاستعارة أن تكون هناك مناسبة بين المستعار منه والمستعار له
لكي تسوغ الاستعارة وتملح، وهذه المناسبة تقابل وجه الشبه بين طرفي التشبيه، لذا قيل: ((فإنما
تحسن الاستعارة بما يحسن فيه التشبيه والتمثيل.))⁽³⁾، ولعل ما ذكر من وجوب طي ذكر
المستعار له دليل على وجود المناسبة، فالاستعارة ((لا تذكر مطوية إلا لبيان المناسبة بين
المستعار له والمستعار منه، ولو طويت ولم يكن هناك مناسبة بين المستعار له والمستعار منه
لعسر فهمه ولم يبين المراد منه.))⁽⁴⁾

إن عدم مراعاة هذا الجانب في الاستعارة يجعلها قبيحة غير مستحسنة، فتصبح بعيدة ((
من القلوب عند أهل الذوق، كقول أبي نؤاس مع يقظته:

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح

فأي شيء أبعد استعارة من صوت المال ، وكيف يصيح ويبح من الشكوى.))⁽⁵⁾

أركان الاستعارة:

مما تقدّم يمكن أن نقول: إن للاستعارة ثلاثة أركان هي:

1. المستعار له.

2. المستعار منه.

3. المستعار.

إلا أن هذه الأركان الثلاثة لا يمكن أن تحدد حسن الاستعارة وقبحها، على الرغم من وجوب
توافرها في أي استعارة، وإن الذي يحدد ذلك أمر آخر يمكن أن نسمّيه (مسوّغ الاستعارة)، وهو

⁽¹⁾ المثل السائر 346/1. وينظر: دلائل الإعجاز، 327، والمستطرف من كل فن مستظرف، 387/2.

⁽²⁾ خزانة الأدب، 1/ 110.

⁽³⁾ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، 1/ 565.

⁽⁴⁾ المثل السائر، 1/ 368.

⁽⁵⁾ خزانة الأدب، 1/ 111.

الرابط الذي يلمحه المستعير بين المستعار له والمستعار منه، أو ما أطلق عليه المناسبة بين طرفي الاستعارة، لذا سأجعل مسوّغ الاستعارة أحد المؤشرات التي أثبتتها في تحليل شواهد الاستعارة؛ لغوية كانت أم معمارية.

أنواع الاستعارة:

أولاً: الاستعارة التجريدية

وتسمّى المجرّدة، وهي ما كان معتبراً فيها ((المستعار له أي أنها تجريدية إذا عقيبت بصفات ملائمة للمستعار له، أو تفرّيع كلام ملائم له، وقال ابن مالك: تجريد الاستعارة هو أن تقترن بما يلائم المستعار له....، وقال العلوي: فأما الاستعارة المجرّدة فإنما لقيت بهذا اللقب، لأنك إذا قلت: رأيت أسداً يجدل الأبطال بنصله، ويشكّ الفرسان برمحه، فقد جرّدت قولك (أسداً) من لوازم الآساد وخصائصها، إذ ليس من شأنها تجديل الأبطال ولا شكّ الفرسان بالرماح.)⁽¹⁾ فالاستعار له: البطل المقصود أو الفارس

المستعار منه: الأسد

المستعار: لفظ الأسد

مسوّغ الاستعارة (وجه الشبه): الشجاعة عند الفارس والأسد .

أما في العمارة فخير مثال على الاستعارة التجريدية يتمثل في فندق برج العرب المبيّنة صورته في الشكل ذي الرقم (2).



إذ إن **الشكل (2)** على شكل

الشرع الخارجي، أما التفاصيل الأخرى في الفندق فكانت من لوازم المستعار له وهو الفندق، أي أن:

⁽¹⁾ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، 1/ 150.

المستعار له: بناية الفندق

المستعار منه : القارب الشراعي

المستعار: شكل الشراع

مسوّغ الاستعارة : أن الفندق أنشئ في البحر والماء يحيط به من كل جانب،

والقارب الشراعي مكانه الطبيعي البحر فتشابهها في المحل.

فالاستعارة هنا اقتصررت على شكل الشراع الخارجي أما التفاصيل الأخرى في الفندق فكانت من لوازم المستعار له وهو بناية الفندق .

ومن الأمثلة الأخرى على الاستعارة التجريدية في العمارة مطار جون كينيدي، الظاهر

في الشكل ذي الرقم (3).



الشكل (3)

المستعار له: إحدى بنايات مطار جون كندي في نيويورك .

المستعار منه : الطائر .

المستعار: جناح الطائر .

مسوّغ الاستعارة: العلاقة المعنوية بين الطائر والمطار، وهي واضحة لا تحتاج إلى بيان .

فالمصمم استعار شكل الطائر الخارجي مع الإبقاء على مستلزمات المستعار له وهو بناية المطار .

ثانياً: الاستعارة الترشيفية

إن مفهوم الاستعارة الترشيفية أو المرشحة يقف على النقيض من مفهوم الاستعارة التجريدية لأنها تقرن عادة ((بما يلائم المستعار منه))⁽¹⁾ . وقد ذهب علماء البلاغة إلى أن الاستعارة الترشيفية هي المقدمّة في باب الاستعارة، إذ ليس فوق رتبها في البديع رتبة، ومنها قوله تعالى: (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما رحبت تجارتهم)⁽²⁾، فلفظة

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، 153/1.

(2) البقرة، 16.

(الشراء) وهي الاستعارة الأولى رشحت الاستعارة الثانية في لفظي الربح والتجارة. (3) وإذا أردنا أن نحلل هذا النص القرآني لاستخراج أركان الاستعارة منه، فسيكون على النحو الآتي:
المستعار له: عملية استبدال الضلالة بالهدى.

المستعار منه: عملية الشراء.

المستعار: لفظة الشراء.

مسوّغ الاستعارة: إن الشراء يتضمن عملية استبدال النقود بالبضاعة.

الاستعارة المرشحة: لفظنا الربح والتجارة، إذ ترشحتنا بلفظة الشراء المقدّمة عليهما.

ومن الاستعارات المرشحة قول مجد الدين الأربلي (4):

أصغي إلى قول العذول بجملتي مستفهما عنكم بغير ملال
لتلقطي زهرات ورد حديثكم من بين شوك ملامة العدّال

والاستعارة المرشحة كما هو بيّن في البيت الثاني، وتحليله على النحو الآتي:

المستعار له: حديث المحبوب

المستعار منه: الزهور

المستعار: لفظنا (تلقطي) و (زهرات)

مسوّغ الاستعارة: تشابه المستعار له والمستعار منه في الرقة والجمال.

الاستعارة المرشحة: لفظة (شوك)، إذ إن لفظتي (تلقطي) و (زهرات) رشحتنا لفظة (شوك)

المستعارة لخشونة حديث العاذل وكراهية سماعه.

ويذكرنا هذا البيت بقول بشار بن برد:

كأن رجع حديثها قط عُ الرياض كُسين زهرا

وهذا البيت في المعنى نظير البيت السابق، إلا أنه جاء على سبيل التشبيه، والذي سبقه جاء

على سبيل الاستعارة، فبشار بن برد شبّه صوت حديث المحبوبة بقطع الرياض المكسوة زهرا،

مستعملاً أداة التشبيه (كأن) مستغنياً عن ذكر وجه الشبه، وهذا تشبيه (مجمل)، أما في البيت

الأول فقد طوي ذكر المستعار له (المشبه) وهو (كلمات المحبوب) واكتفى بذكر المستعار منه (

المشبه به) وهو (الزهرات).

ومن الاستعارات المرشحة قول الشاعر (1):

والشمس لا تشرب خمر الندى في الروض إلا بكؤوس الشقيق

(3) ينظر : خزانة الأدب، 111/1.

(4) ينظر : م. ن، 113/1.

(1) ينظر: م. ن، 112 / 1.

وتحليل البيت يكون على النحو الآتي:

المستعار له: جفاف الندى واختفاؤه.

المستعار منه: شرب الخمر.

المستعار: لفظ (تشرّبُ خمرًا).

مسوّغ الاستعارة: إن شرب الخمر وجفاف الندى يُفضيان إلى النضوب.

الاستعارة المرشحة: لفظة (كؤوس)، لأن (شرب الخمر) رشّح لفظة (كؤوس)، والذي سوّغ

استعارة هذه اللفظة للشقيق، هو وجه الشبه بين شكل الكأس المعروف وشكل زهرة الشقيق، بسبب التقعر الكائن فيها.

فهل هناك استعارة ترشيحيّة بهذا الوصف في العمارة ؟

إذا أراد أحد المعماريين تصميم بيت على مقربة من البحر، وأراد أن يستعير من المحارة شكل البيت الخارجي، فعليه أن يجعل نوافذ البيت أو مدخله أو أي من مستلزمات البيت ذات أشكال مستعارة من الأشكال المألوفة في البيئة البحرية، لأن شكل المحارة المستعار سيرشح استعارة الأشكال الأخرى، وعليه يكون:

المستعار له: البيت

المستعار منه: المحارة

المستعار: الشكل الخارجي للمحارة

مسوّغ الاستعارة: أن المحارة تحتضن اللؤلؤ، وكأنها مأوى اللآلي، والبيت يحتضن ساكنيه، فضلا عن الموقع الذي اشتركا فيه، وهو قريهما من البحر .

الاستعارة المرشحة: شكل النوافذ الذي قد يستعار من أشكال القواقع أو الصخور البحرية على الشاطئ. وينبغي في هذا الموضع أن نذكر أمرين؛ أما الأول، فضرورة عدم إخفاء شكل البيت المألوف وتفصيله بكثرة الاستعارات الترشيحيّة فيه، لأن ذلك سينقله إلى مفهوم الاستعارة التصريحيّة، وأما الثاني، فعلينا أن نضع في الحسبان أن الاستعارة الترشيحيّة اللغويّة يتلقاها السمع تباعاً، أما الاستعارة الترشيحيّة المعمارية، فإن البصر يتلقاها دفعة واحدة، وهذه مسألة قد تقترب بهذه الاستعارة إلى حدود الاستعارة التصريحيّة المعمارية، وهذه لطيفة ينبغي الانتباه إليها.

ثالثاً: الاستعارة التصريحيّة:

تدفع الاستعارة التصريحيّة المستعار له إلى الحيز الذي يكاد يختفي فيه كلياً، أي أن ((الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبّه به، ومثال هذا اللون قوله تعالى: (كتاب

أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور⁽¹⁾، أي من الضلالة إلى الهدى، فقد استعيرت الظلمات للضلال لتشابههما في عدم اهتداء صاحبهما، وكذلك استعير لفظ النور للإيمان لتشابههما في الهداية، والمستعار له وهما الضلال والإيمان كل منهما محقق عقلاً⁽²⁾ ومن الأمثلة المشهورة في الاستعارة التصريحية البيت المشهور:

وأمرت لؤلؤًا من نرجس وسقت وردًا وعظت على العناب بالبرد

وفي هذا البيت استعارات تصريحية متعددة منها:

• لفظة (أمّرت)، إذ إن المستعار له: تساقط الدمع والمستعار منه: تساقط المطر والمستعار: لفظ (أمّرت)، ومسوّغ الاستعارة: تعاقب التساقط السريع في الدمع والمطر

• كلمة (لؤلؤًا)، فالمستعار له: الدمع. والمستعار منه: اللؤلؤ. والمستعار: لفظ اللؤلؤ.

ومسوّغ الاستعارة: أن اللؤلؤ والدمع يتشابهان في الشكل واللّمعان.

• كلمة (نرجس)، المستعار له: العين، والمستعار منه: ورد النرجس، والمستعار: لفظ النرجس، ومسوّغ الاستعارة: مشابهة شكل الوردة وحجمها وتفتحها لشكل العين وحجمها وانفتاحها. ويمكن تكرار الكلام على الاستعارات الأخرى في البيت، التي تظهر في الكلمات (سقت، ووردًا، والعناب، والبرد).

أما الاستعارة التصريحية في العمارة فيمكن ملاحظتها في الشكل (4):



الشكل (4)

التصريحية في العمارة يظهر في الشكل

مثال آخر للاستعارة

ذي الرقم (5)

إذ يمكن تحليله على الصورة الآتية:

المستعار له: الأريكة

المستعار منه: الشفتان

(1) إبراهيم، 1

(2) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، 1/ 155.

المستعار: شكل الشفتين

مسوّغ الاستعارة: يكمن في وجه الشبه بين مرونة الشفتين ومرونة الأريكة من جهة، وكذلك تشابه الشكل العام لهما



الشكل (5)

رابعًا: الاستعارة التمثيلية

هي أن يكون وجه الشبه فيها بين المستعار منه والمستعار له منتزعاً من متعدد، ومثالها ما كتبه الوليد بن يزيد لما بويع إلى مروان بن محمد، وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له: أراك تقدّم رجلا وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام.⁽¹⁾ ومن أمثلة الاستعارة التمثيلية قول المتنبي:

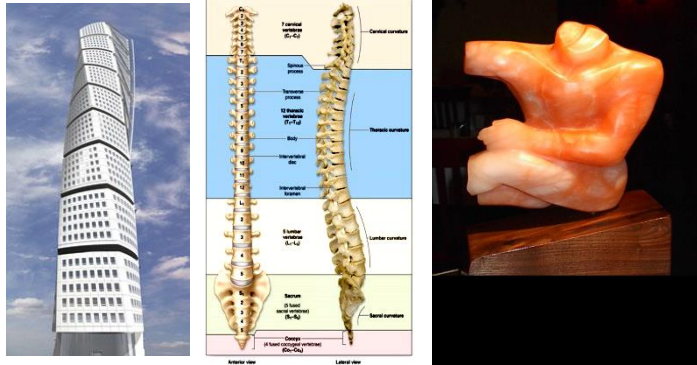
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرًا به الماء الزُّلالا⁽²⁾

من الواضح أن الاستعارة التمثيلية في البلاغة لم تجر مجرى اللفظ المفرد كما كان واضحًا في الأمثلة السابقة وإنما أجريت في التركيب كله، وقد انطوت على حركة من نوع ما، ومع صعوبة العثور على أنموذج معماري للاستعارة التمثيلية لأن العمارة ساكنة ، إلا أن بعض التصاميم الحديثة في العمارة عمد مصمموها إلى إظهار الحركة فيها ، وفيما يأتي نماذج من الاستعارة التمثيلية في العمارة، تتوضح فيها العلاقة بين الاستعارة بلاغيا ومعماريا:

(1) البيان والتبيين، 160/1. وينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 166/1، وأدب الكاتب، 16/1

(2) ينظر: دلائل الإعجاز 321/1، والإيضاح في علوم البلاغة 284/1.

أمثلة معمارية للاستعارة التمثيلية:



المستعار منه
الشكل (6)

المستعار له
الشكل (7)

المستعار منه
الشكل (8)

يظهر في الأشكال (6 ، 7 ، 8) مشروع مبنى الـ **turning torso** إذ يقع على ميناء فجعل المعماري كالاترافا وهو مصمم البرج حركة المبنى الثقافية باتجاه البحر وكأن رجلاً قد لفته المنظر الطبيعي هناك فالتفت ليراها. ووجه الشبه بين المستعار له والمستعار منه واضح.⁽¹⁾

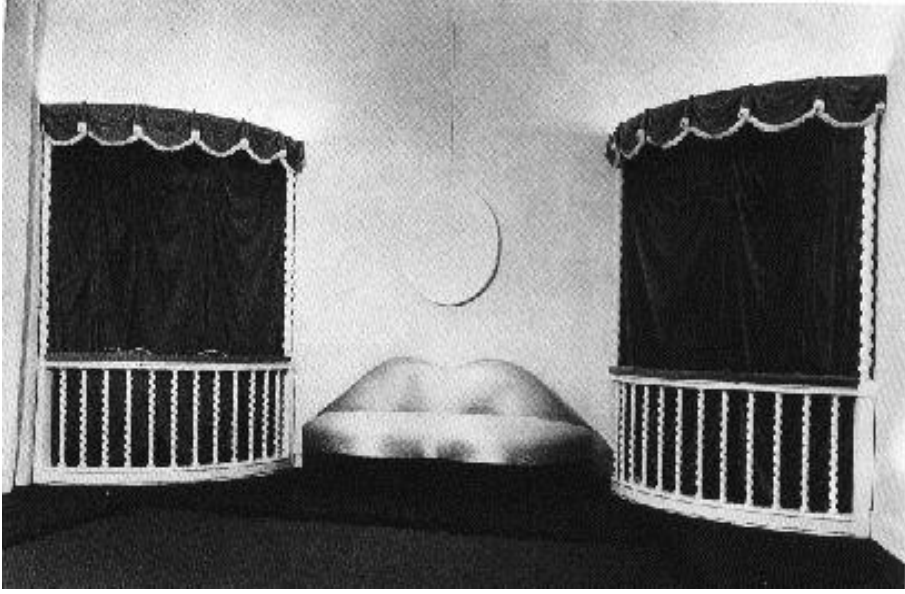
خامساً: الاستعارة المكنية

هي التي اختفى فيها المشبه به (المستعار منه) واكتفي بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه، وهي على العكس من الاستعارة التصريحية، من ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:
وإذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميمية لا تنفع⁽²⁾
فالمستعار له: المنية
والمستعار منه: السبع أو الحيوان المفترس
والمستعار: الأظفار وهي من لوازم السبع
ومسوّغ الاستعارة: الشبه بين المنية والسبع في اغتيال النفوس.

ومثال الاستعارة المكنية في العمارة ما يظهر في الشكل (9)

(1) ينظر: أمثلة منتخبة من أعمال سانتياغو كالاترافا، 22.

(2) ينظر: مفتاح العلوم، 477.



المستعار له: الغرفة
أو الصالة
المستعار منه: وجه
الإنسان
المستعار: الشفتان،
وهما من مستلزمات
الوجه

الشكل (9)

الاستعارات غير المستحسنة في اللغة والعمارة

مما تجب مراعاته في الاستعارة أن تكون هناك مناسبة بين المستعار له والمستعار منه، لكي تسوخ الاستعارة، وإن عدم مراعاة هذا الجانب في الاستعارة يجعلها غير مستحسنة، فتصبح بعيدة عن القلوب عند أهل الذوق، كقول أبي نواس:

بحّ صوت المال مما منك يشكو ويصيحُ

قال عنه النقاد: أي شيء أبعد استعارة من صوت المال، وكيف يصيح ويبيح من الشكوى. (1)
ومن ذلك أيضاً قول أبي تمام:

لا تسقني ماء الملام فإنني صبّ قد استعذبت ماء بكائي

إذ عيب عليه أن يجعل للملام ماءً يسقى. (2)

أما في العمارة فهذه أمثلتها:

نلاحظ في الشكل ذي الرقم (10) صورة لأريكة على شكل زهرة، ويكون تحليلها بلاغياً على النحو الآتي:

المستعار له: الأريكة، والمستعار منه: الورد، والمستعار: شكل الورد

أما مسوخ الاستعارة فلا نرى مسوخاً لها، فما العلاقة بين الورد والأريكة، وإذا كانت ثمة علاقة فلا ترقى لأن تكون سبباً في استعارة شكل الورد للأريكة.

(1) خزانة الأدب، 1/ 111، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، 1/ 291.

(2) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، 1/ 295 ومفتاح العلوم، 498.



الشكل (10)

ومن الأمثلة الأخرى للاستعارة غير المستحسنة ما يظهر في الشكل (11)



الشكل (11)

فالمستعار له: الطاولة، والمستعار منه: البرتقالة، والمستعار: مقطع عرضي في البرتقالة، أما مسوّغ الاستعارة فهو الشكل الدائري فقط ، وهذا لا يكفي لأن تكون الاستعارة حسنة، فمعظم الثمار مقاطعها دائرية أو قريبة من ذلك.

أما الاستعارة المعمارية الأخرى التي أحسبها من أسخف الاستعارات والتي تظهر طبيعة المصمم الشاذة، فهي ما يظهر في الشكل (12)، إذ اتخذ المصمم قاعدة الحمام الغربي شكلا معتمدا في تصميم البيت، وهذا على النقيض من المثال المعماري الذي ضربته في الصفحة (11) للاستعارة الترشيفية الذي تضمن تصميمًا على شكل محارة، وشتان ما بين ما تحتويه المحارة وما تحتويه قاعدة الحمام.



الشكل (12)

ومن الأمثلة المعمارية الأخرى للاستعارة غير المستحسنة فهو ما يظهر في الشكل (13)، إذ جعل المصمم شكل البيت على هيئة حذاء، ولا أعلم ما العلاقة بين البيت والحذاء ليستعير شكل هذا لذلك، ولا أحسب السبب إلا مقتصرًا على إثارة المتلقي بأي طريقة كانت، وهذا أمر لا يرقى إلى مستوى أصحاب الأذواق الرفيعة سواء أكان ذلك في اللغة أو في العمارة أو في أي مجال فني من مجالات الفنون الجميلة المعروفة.



الشكل (13)

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذه الاستعارات قد تبدو جميلة عند بعض الناس، ولكن سبب قبولها واستطافها لا يعود إلى حسن الاستعارة، ولكن يعود إلى سبب آخر هو استعمال الشكل في غير ما عرف به، وهذا ربما يندرج تحت مصطلح بلاغي آخر يمكن تناوله في بحوث أخرى بعون الله تعالى وتوفيقه.

نتائج البحث:

تظهر نتائج هذا البحث في الجوانب الآتية:

- 1) إن اللغة العربية في مستواها البلاغي يمكنها أن ترفد الاختصاصات الأخرى بمعين لا يكاد ينضب من الأفكار الجميلة التي يمكن استثمارها بصورة حسنة لمن كان يمتلك القدرة على الإبداع، وربما كانت العمارة أول هذه الاختصاصات.
- 2) إن التشبيه بمفهومه البلاغي المعروف لا مكان له في العمارة، وعليه فمن الواجب أن نقرر أن لا تشبيه في العمارة وإنما هناك استعارة.
- 3) إن الاستعارة على الرغم من تعدد أصنافها في الدرس البلاغي العربي، فإن الباحث الحريص ولاسيما من أهل العمارة يمكنه أن يقف بصورة واثقة على نظائر هذه الأصناف الاستعارية في العمارة، ويمكنه بعد ذلك أن يعتمد عليها في إعادة تععيد المفهوم العام للاستعارة، إذ إن فهم أهل العمارة للاستعارة يقتصر في أغلب الأحيان على معنى الأخذ المجرد، من غير أن يعطوا مسوغ الاستعارة بين المستعار له والمستعار منه أهمية في تصاميمهم، وهذا ما ظهر في بعض التصاميم المعمارية المذكورة في البحث.

المصادر والمراجع

- 1) أدب الكاتب، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروي الدينوري (ت376هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط4، 1963.
- 2) أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، تح: الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1979م.
- 3) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1998م.
- 4) البرهان في إعجاز القرآن أو بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري (ت654هـ)، تح: د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 2006م.
- 5) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، تح: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1968م.
- 6) ثمار القلوب من المضاف والمنسوب، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت429هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1965.
- 7) خزانة الأدب، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي الأزري (ت837هـ)، تح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987م.

- (8) دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت471هـ)،
تحد: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995.
- (9) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي (ت821هـ)، تحد: د. يوسف
علي الطويل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1987م.
- (10) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت
711هـ)، دار صادر، بيروت.
- (11) المثل السائر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم
الموصلي (ت637هـ)، تحد: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت،
ط2، 1995م.
- (12) المستطرف من فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الأبيهي
(ت850هـ)، تحد: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1986.
- (13) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت626هـ)، تحد: د. عبد
الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.
- (14) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي
العراقي، بغداد، 1403هـ-1983م.
- (15) النهاية في غريب الأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت606هـ)، تحد:
طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 1979م.

المصادر الأجنبية

- 1 - Architectural Theory From Vitruvius to the Present"
Kruft,Hanno,Walter , Zwemma, 1994

البحوث

- (1) أمثلة منتخبة من أعمال المعماري سانتياغو كالاترفا، طالبة الدكتوراه سحر باسل،
قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة بغداد، 2007.